

القرءان الكريم وأثره في تعليمية اللغة العربية لغير الناطقين بها

زميط محمد

البريد الإلكتروني: souraka.zm@hotmail.com

باحث في قسم الدكتوراه (سنة رابعة دكتوراه- مدرسة الدكتوراه-)

علوم اللسان وتحليل الخطاب .

الهاتف 0771102315/0551520364

تاريخ القبول: 2019/11/13

تاريخ الاستلام: 2019/06/10

الملخص:

يهدفُ البحثُ إلى الكشف عن أثر القرآن الكريم في تعليمية اللغة العربية لغير الناطقين بها، اعتماداً على علم النفس ووسائل حديثة ، خاصة وأن إقبال غير الناطقين باللغة العربية على تعلم لغة القرآن الكريم كبير جداً إذا ما قورن بتعلم اللغات الأخرى.

فتعلم لغة القرآن لغير الناطقين بها ليس بالأمر السهل ،وقد تعثر بها عوائق تتعلق باللغة نفسها أو بالمُعلم أو المتعلم الأجنبي ، لكن التطور الذي شهدته اللسانيات الحديثة قلل من هذه المشكلات وذل الصعاب ،من خلال الاعتماد على برامج لتعليم اللغة لغير الناطقين بها غرست فيها المتعة والحيوية ،عن طريق تعلم مهارات وطرائق تسعى لتحقيق أهداف الدرس اللغوي في تعلم اللغات .فهل هذه الوسائل والتقنيات الحديثة تعد الأمل لتحقيق الغاية المرجوة من تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها ؟

الكلمات المفتاحية : اللغة العربية – التأهيل الأطفوني – الأصوات – غير الناطقين بها-
الكتابة الصوتية العالمية

:Abstract

The aim of the research is to uncover the impact of the Holy Qur'an on the teaching of Arabic to non-native speakers, based on psychology and modern means, especially since the non-Arabic speakers in learning the language of the Koran is very large when compared to learning other languages.

Learning the language of the Koran to non-native speakers is not easy, and may be obstacles to the language itself or the teacher or foreign learner, but the development of modern linguistics reduced these problems and overcome the difficulties, through the adoption of programs to teach the language of non-native speakers instilled fun and vitality, By learning the skills and methods that seek to achieve the objectives of the language lesson in learning languages. Is these modern methods and techniques are optimal to achieve the desired goal of learning Arabic for non-native speakers?

speech therapy; Sounds; Non-native speakers; Global Phonetic **Keywords :** arabic language; Writing

: مقدمة

من المعروف والمتداول أن اللغة هي الأداة الأولى للتواصل، فقد كانت و لا تزال تعبر عن خوالج النفس و مكنوناتها، و بما أن العرب أمة كسائر

الأمم، جعلت من البيان اللسان الناطق بحالها، و العرب جعلوا من اللغة الوسيلة الوحيدة للتواصل فيما بينهم، فهي التي تلائم حياتهم البدوية وظروفهم المعيشية، و كانت اللغة ملازمة لهم، فبرعوا وتفننوا فيها حتى فاقت ألسنتهم بيان جميع الأمم، فكثرت فيهم البلغاء و الخطباء والشعراء الذين ما فتئوا يفاخرون بأقوامهم و يخلدون أيامهم ومآثرهم. فتراهم يحرضون الناس إذا احتدم النزال، و يهجونهم إذا فروا من القتال، فيستهضون الهمم بأقوالهم وأشعارهم و كثيرا ما أوقدوا نار الفتنة و الحروب بحروفهم وكلماتهم، لذلك كانت مكانة الشاعر عندهم أقوى و أكبر من مكانة الفارس، فلا نكاد نجد قبيلة تفاخر بنفسها إلا إذا نبغ فيها شاعر أو ولد لها صبي.

و قد كانت الظروف المعيشية القاسية و تلك الحروب الضارية، من أقوى الأسباب التي هذبت الألفاظ وانتقتها، فتربعت الأمة العربية عرش الفصاحة و البلاغة، و ملكت طرائق البيان، ونسيت التفاخر بالجمال و النخيل، و تباغت بالبيان و الكلام الجميل، و ما سوق عكاظ و مجنة و ذي المجاز⁽¹⁾ إلا دليل على ذلك، فقد عقدت بها المناظرات والمسامرات والمحاورات بين الخطباء، بل حتى الشعراء الذين كانوا يفدون إلى مكة في مواسم الحج، فرفعت قصائدهم على أستار الكعبة مخلصين بذلك أشعارهم في أجمل حلة من البيان، إذ كان البيت آنذاك يضع أقواما كما أنه يرفع آخرين.

و هكذا أصبح الشعر ديوان العرب كما يقال بفضل الشعراء الذين كانوا زعماء العرب وساداتهم، وعلت مكانتهم بين الأقاليم، فهي هو لسانهم الخليط يتبوأ أعلى مراتب البيان.

1-القرءان ودوره في حفظ اللغة العربية :

جاء الإسلام و بعث النبي « و أنزل عليه القرآن بلغة قومه، مما زاد من رفع شأن قريش، فأصبح البيان المخلد المعجز، حيث إنه أفصح الكتب، إذ نزل بلغة العرب فاستفاضها بمزيد من الألفاظ، فأضفى عليها الجمال، فدخلت على اللغة ألفاظ جديدة لم يألّفها العرب قبل، و لم يكن هذا مجرد زيادة ألفاظ و نبذ آخر فحسب، بل قيد اللغة وضبطها ورفع مكانتها حتى أصبحت أفصح اللغات و أبلغها.

و ما إن أرسل النبي«وذاع صيت دعوته، أقبل عليه الناس من كل حذب وصوب، فتساوى العربي و العجمي عنده، فكان لزاما عليه « من مبدأ – الدين يسر – أن يخاطب كل قوم بلغتهم، تسهيلا منه عليهم ودفعاً للحرج عنهم، و لما أسلم من جاء إليه و حسن إسلامه، وجب عليه تعلم اللغة العربية التي لا يقوم الدين إلا عليها و لا تصح الصلاة إلّا بها، فانكب الناس على تعلم لغة القرآن امتثالاً لأمر الله تعالى و أمر نبيه «، و لقد حثهم نبينا«على ذلك فقال: {إن هذا القرآن مآدبة الله فتعلموا من مآدبته} ⁽²⁾ ، و حرص عليه الصلاة و السلام على القراءة الصحيحة والسليمة فقال: { أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن} ⁽³⁾ .

و لعل هذه الأحاديث تنبئ عن أهمية النطق السليم لكلام الله و البعد عن الوقوع في اللحن، الذي ما فتى يظهر حتى على ألسنة جلسائه «، فقد روي

عنه « أنه جلس بحضرته أعربي فكلمه فلحن، فقال « أمرا : { أرشدوا
أخاكم فقد ضل }⁽⁴⁾

فكان اللحن أول ما ظهر على ألسنة حديثي العهد بالإسلام من موال و متعربين في عهده «، ثم تلاه عصر الصحابة الذين بهم تشعب الإسلام خارج الجزيرة العربية، فكثرت الفتوحات، و تدفق المسلمون الجدد- عربا و غير عرب- للمبايعة رغبة أو رهبة، وامتزجت بذلك الثقافات و اختلفت الألسن و اللهجات، ففشى اللحن و ظهرت الأخطاء اللغوية، بل حتى الإعرابية، و لم يسلم من ذلك كتاب الله تعالى، و كان ذلك نتيجة حتمية لهذا التوسع الذي شهدته البسيطة، ، فتفشى اللحن في كتاب الله، جعل من حماة النعمة العربية أن يهبوا سراحا لإقامة الألسن، فكان لهم الفضل ولا يزال في دعم صرح اللغة و تخليصها من الشوائب و الأخطاء، و ما روى عن عمر على سبيل المثال لا الحصر، فقد كانت عجمة اللسان من أقوى الأسباب التي دفعت العلماء إلى وضع أسس هذا العلم، حفظا لكتاب الله من أن يعتريه التحريف، لذلك عُني المسلمون وبالأخص العلماء منهم بالقرآن عناية تامة، مخافة أن تزيع عن فهمه الأبواب، فنشأت بجهودهم علوم كثيرة كلها تنصب في خدمة القرآن ، وهدفها ضبط هذا الكتاب المقدس، فكان النحو من أولى العلوم التي نشأت لهذا الغرض بعد تفشي اللحن، فهرع أولئك الأخيار إلى وضع قوانين تضبطه، فملأ القراءان نفوسهم و عقولهم و سد فراغهم، فمن معينه يرتوون، وعن حماه يذودون، فنبتت من هذا الجهد و ذاك الحرص علوم أخرى كلها تتعلق بالقراءان، كعلوم التي تعني بتعليم اللغة العربية والقرآن والتفسير و علم القراءات، فكان لهذه العلوم الجديدة أثر كبير على أولئك العلماء، فراحوا يؤلفون في شتى العلوم النابعة من القراءان، و ما كان ذلك إلا صونا لكتاب الله،

فكانت العلاقة وثيقة بين النحو و مختلف هذه العلوم التي نشأت في كنفه، لأنه يعني ببيان الوجوه التي يُقرأ بها القرآن الكريم، و ضبطها وتسهيل حفظها، عن طريق تعلم النحو ، فقد ارتبط النحو بالقراء منذ نشأته ارتباطاً لم ينفك عنه و لن ينفك عنه⁽⁵⁾.

2 – تحديد المصطلحات :

1-2- تعريف القراءان:

إن لفظة القراءان، من أول أسماء التنزيل و أشهرها، و أصح الأقوال على أنه مصدر قرأ، فيقال قرأ قراءة و قرءانا⁽⁶⁾. أي أن القراءان مرادف للقراءة، و من هذا قوله **ثَلَاثًا مَجْمُوعًا مَرْنَجًا نَحْنُ نَزْنِيهِ هَجَاءً**⁽⁷⁾. ثم استعمل هذا اللفظ ليخصص على ما كتب بين الدفتين ، و هذا ما اتفق عليه أكثر العلماء، غير أنهم اختلفوا في المعنى اللغوي للقرآن و ذهبوا فيه مذاهب كثيرة، فهو عند بعضهم مهموز، وعند البعض الآخر غير مهموز.

فمن رأى بغير الهمز الشافعي الذي يقول: {إن لفظ القراءان ليس مشتقا ولا مهموزا، لأنه قد ارتجل و جعل علما للكتاب المنزل، وعليه فإنه يقرأ بدون همز} ، وبهذا قرأ ابن كثير⁽⁸⁾ و هو أحد القراء السبعة المشهورين⁽⁹⁾.

فالقراءان عند الشافعي ليس مأخوذا من قرأت ، لأنه لو كان كذلك لكان كل ما قرأ قراءانا، و هذا هو الفرق الجوهرى بين القراءان و القراءات.

أما الفراء و القرطبي فيريان أنه : { مشتق من القرائن جمع قرينة لأن الآيات، يشبه بعضها بعضا، فكأن بعضها قرينة على بعض }⁽¹⁰⁾.

و ذهب الأشعري وأبو إسحاق النحوي على أنه : {مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمته إليه، لأن السور والآيات تقرن فيه، و يضم بعضها إلى بعض} ⁽¹¹⁾.

و من رأى بالهمز: الزجاج، حيث يقول {إن لفظ القراءان مهموز، وهو على وزن فعلان، مشتق من القراء، بمعنى الجمع، و منه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة} ⁽¹²⁾ إلا أن هناك من العلماء من عقب على هذا الرأي و قال بأنه لا يكون القراءان قرأ مادته بمعنى جمع، لقوله تعالى: {آج مج مج مج مج} ⁽¹³⁾، فغاير بينهما، و إنما مادته قرأ بمعنى أظهر و بين، و القارئ يظهر القراءان ويخرجه، والقراء الدم، لظهوره و خروجه، و القراء الوقت، و إن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر، و هذا ما ذهب إليه قطرب ⁽¹⁴⁾.

و يقول اللحياني: {إنه مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، و سمي به المقروء من باب إطلاق المصدر على مفعوله} ⁽¹⁵⁾.

و هذا الرأي الأخير هو أقوى الآراء و أرجحها ⁽⁶⁾، لأن القراءان في اللغة، مصدر مرادف للقراءة، فيقال قرأ قراءة و قراءنا، غير أن السيوطي رجح ما ذهب إليه الشافعي، ويرى بأنه عين الصواب ⁽¹⁶⁾.

3- تعريف القراءان من حيث الاصطلاح:

هناك تعريف متفق عليه، و لا خلاف حوله على أن القراءان {كلام الله تعالى المنزل على أحب خلق الله خاتم النبيين محمد «، عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام، المدون ما بين الدفتين، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته،

المتعهد بحفظه، المعجز ببيانه، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس {
(17)

2-1-2- ضبط المصطلحات:

2-1-1-1- كلام الله: أضيف الكلام إلى الله عزوجل، لنخرج بذلك الأحاديث النبوية المروية عنه «، والآيات المنسوخة و كلام الصحابة و كلام الملائكة، لأن هذا ليس من القرآن في شيء، و نخرج أيضا القراءات التي لم تحتو على ضوابط القراءة الصحيحة .

2-1-1-2- المنزل على أحب خلق الله خاتم النبيين محمد «: لأن هناك مفاضلة بين الأنبياء، مثلاً « أَنَّهُمْ يُجْرِبُونَ جُزْءًا بِجُزْءٍ بِهَتْجَتِهِ » (18)، ومن المعلوم أن رسول الله « أحب الخلق إلى الله تعالى مذ خلق آدم عليه السلام ، وخصصنا بالتعريف على ما نزل عليه «، لنخرج ما أنزل على الأنبياء من قبله كالتوراة والصحف والإنجيل و الزبور.

2-1-1-3- المدوّن ما بين الدفتين: لنخرج ما تزعمه بعض الفرق كالشيعة، و من ذلك زعمهم بأن في القرآن آيات أسقطت كآية الولاية. و نخرج أيضا ما نسخت تلاوته.

2-1-1-4- المنقول إلينا بالتواتر: لنخرج القراءات القرآنية التي فقدت أحد أركان القراءة الصحيحة، أو بعضها.

2-1-1-5- المتعبد بتلاوته: لأنه لا تجوز الصلاة بالقراءات الشاذة، لأنها ليست قرآنا (19).

2-1-6- المتعهد بحفظه: تعهد الله تعالى بحفظ كتابه، فقال: ﴿ثُمَّ آتَيْنَاهُ آلَ إِمْرَأَتِهِ ذِكْرًا وَحِيدًا وَمَنْزِلًا مُنْزَلًا مِّنْ رَبِّهِمْ﴾ (20) على غرار الكتب السابقة، التي أوكل الله حفظها للأمم المنزلّة عليهم.

2-1-7- المعجز ببيانه: حيث إنه معجز بأقصر سورة منه، و قد تحدى الله به العرب قاطبة، فلم يستطيعوا مجاراته في نظمه.

2-1-8- المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس: وهذا دليل على أن ترتيب السور والآي توقيفي من الله عزوجل (21).

3- تعليمية القرآن الكريم لغير الناطقين باللغة العربية ودورها في اكتساب اللغة الثانية :

تعتمد مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في معظمها على طرائق تقليدية ، إذ تهتم بتعليم الحروف والنطق فقط ، ثم تأليف الكلمات بغية التواصل لا غير ، وتوظيف القرآن الكريم لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها قليل جدا إذا ما قورن بما ذكر سابقا ، فالمعاهد والمخابر المتخصصة في الغالب خالية من تتبع الثقافة الإسلامية وكل ما له صلة بها كالقرآن الكريم والحديث النبوي ، ولعل السبب الرئيس يكمن في طبيعة المعاهد التي تتواجد في أماكن خارج الحدود العربية الإسلامية

ولعل سبب عدم اعتمادهم على القرآن الكريم ، اعتقادهم بأن ألفاظه صعبة ولغته تعود إلى قرون خلت ، وهذا لا أساس له من الصحة ،

فالقرءان الكريم صالح لكل زمان ومكان ، وهو الذي حفظ للغة العربية خصوصياتها واستمراريتها ، وحماها من الاضمحلال والاندثار

قبل الحديث عن تعليمية القرءان الكريم لغير الناطقين بها يجب أن نقف عند كل ما يتعلق بالعملية التعليمية التعليمية ، وما يتعلق بها من مصطلحات وتعريف ، كونها المدخل الرئيس لفهم العناصر المحيطة بهذه العملية .

1-تعريف اللغة :

يعرفها السيوطي بأنها " كل لفظ وضع لمعنى"⁽²²⁾ أما ابن جني فقد عرفها تعريفا دقيقا بقوله : "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽²³⁾ ، أما التعريف الحديث فهو ما قال به دي سوسير بأنها "تنظيم من الإشارات: وتعني كلمة تنظيم مجموعة القضايا التي تحدد - ضمن اللغة- استعمال الأصوات والصيغ و التراكيب وأساليب التعبير النحوية والمعجمية"⁽²⁴⁾

ولعل تعريف ابن خلدون من أكثر التعاريف الجامعة للغة، إذ يعرفها فيقول : "و اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، و تلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل و هو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم"⁽²⁵⁾

وتعلّم اللغة العربية تعلم للدين، كما نص على ذلك جمهور علماء الأمة، يقول ابن تيمية رحمه الله: "إن نفس العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض... وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"

(26) ،واللغة العربية من أقدم لغات العالم، وهي اللغة الوحيدة التي حافظت على وجودها طيلة ما يزيد عن خمسة عشر قرنًا. ومازالت اللغة العربية تحيا باستمرارها تماشيًا مع القرآن الكريم .

ورد في القرآن الكريم قوله **ثُمَّ نَهَجْ بِحَرْءٍ** (27) . وهذا دليل على اختلاف الألسنة أو اللغات بين الناس، والاختلاف اللغوي يؤدي حتما إلى اختلاف الأصوات ، فالأصوات العربية تختلف كثيرا عن أصوات لغات متعلميها الأجانب.

2-صفات معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها :

إن نجاح أي عملية تعليمية تعلمية مرتبط أساسا بالمعلم كونه المحرك الرئيس لهذه العملية ، ولكي نضمن نجاحها يجب أن نوفر الجو الملائم لها ، من خلال إعداد هذا المعلم إعدادا يؤهله للقيام بالمهمة المسندة إليه ، ولعل أهم شيء فيها هو تلك المهارات التربوية التواصلية والتقنية التي تختلف من معلم لآخر ، كالخطيطة والإمام الجيد بطرائق التدريس الحديثة ومعرفة سلوكيات المتعلمين ، فليس كل شخص يمكنه تعليم الآخرين ما لم يكن مطلعًا على مجريات العملية التعليمية ، فالمعلم رغم كونه مرشدا وموجها إلا أنه تعثره بعض العقبات للوصول إلى هدفه ، خاصة وأن المتعلم المراد تعليمه اللغة الثانية هو محور العملية ، وقد أكدت الدراسات أن هناك ضعفا في حقل تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها وهذا مرده النقص في الإعداد المهني والتقني والتواصل ، والمعلم الكفاء هو الذي يملك الكفاءة اللغوية ويكون ملما

إلمامًا كافيًا بالمهارات الأساسية للغة العربية والتمكن من توظيفها لخدمة الغرض من تدريسها.

إضافة إلى شخصية المعلم وتكوينه واستعداداته الذاتية (الدافعية) للقيام بمهنة التدريس، فالسمات الشخصية والاجتماعية اللازمة لنجاح المعلم، تجعله ملما بسلوك المتعلمين وقيمهم واتجاهاتهم.

ومما يجب التأكيد عليه في المعلم هو معرفته الجيدة باللغة ومستوياتها المختلفة، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، فضلاً عن معرفته الجيدة بنظريات اكتساب اللغة، والفروق بين اللغة الأولى والثانية (أوجه التشابه والاختلاف بين اللغة المتعلمة واللغة الأم).

3-تعريف المهارة :

ورد تعريف المهارة في موسوعة علم النفس الحديث: "تعني القدرة على الأداء المنظم والمتكامل للأعمال الحركية المعقدة، بدقة وسهولة، مع التكيف مع الظروف المتغيرة المحيطة بالعمل"⁽²⁸⁾ فهي هنا بمعنى السهولة والسرعة والدقة في أداء عمل ما بعد تعلّمه مع اقتصاد في الجهد.

والمهارات المتبعة لتعليم اللغات أربع وهي (الاستماع – الكلام – القراءة – الكتابة)، وتؤكد النظريات المنبثقة عن اللسانيات التطبيقية ضرورة تعلم المهارات الأربعة للغة العربية أولاً بصورة منفصلة وحسب أولوياتها، وتمثل هذه المهارات الأهداف الأساسية لعملية التعلم، التي يسعى كل معلم لتحقيقها عند المتعلمين، فتعلم أي لغة من اللغات، سواء أكانت اللغة الأم أم لغة ثانية، إنما الهدف منها هو إكساب المتعلم القدرة على سماع اللغة و التعرف على أصواتها التي تميزها عن غيرها، ومحاولة التحدث بها بطريقة صحيحة سليمة

خالية من الأخطاء ، بغية التواصل مع أبناء اللغة المتعلمة من خلال قراءتها وكتابتها وفق قواعدها.

ولتعلم أيّ لغة يجب توفر مستويات ثلاثة :

أ- الإنصات:

هو تركيز الانتباه على ما يسمعه الإنسان من أجل هدف محدد أو غرض يريد تحقيقه، وهو استماع مستمر، بحيث يكون بالغ الاهتمام. وقد ورد في قوله آتِلْآ جْم حَجْم خَجْم سَج سَج سَج سَج⁽²⁹⁾. وهو نفسه الإصغاء ، أي: " أحسن الاستماع"⁽³⁰⁾ .

والإصغاء يتطلب التعلم والصبر والممارسة منذ الصغر ويحتاج إلى جهد

ب- السماع : السمع من أولى المهارات اللغوية، واللغة سماع ، والسمع عند ابن خلدون أبو الملكات اللسانية"⁽³¹⁾. واللغة أصوات عند اللغويين ، والأصوات تدرك بحاسة السمع. كأن تستقبل الأذن أصواتا متعددة وكلاما عابرا دون اهتمام ، " سمع الشيء: أدركه بحاسة الأذن"⁽³²⁾ فالإنسان هنا لم يقصد معنى السماع بعينه ولم يتهياً له ، فيأتيه الكلام من كل مكان دون أن يعيرها اهتماما ، فالسماع إذن عملية تتم دون جهد حيث تستقبل الأذن الأصوات وكأنها عابره فتكون بدون إرادة ، بينما الاستماع عملية تتطلب جهداً وتركيزاً وإرادة ولذلك يمكن أن يتمتع الشخص بقدرة السماع لكنه يكون سيء الاستماع .

ج- الاستماع:

فهو سماع باهتمام وقصد وإعمال الفكر. "استمع له وإليه: أصغى" (33) ، وهو "تعتمد تلقي أي مادة صوتية بقصد فهمها ، والتمكن من تحليلها واستيعابها ، واكتساب القدرة على نقدها ، وإبداء الرأي فيها إذا طُلب من المستمع ذلك" (34) .

والاستماع شرط ضروري للنمو اللغوي للطفل، فإنه يولد وليس لديه القدرة على الكلام إلا الأصوات التي يعبر بها عن حاجياته، ثم يبدأ بالمنغاة ويسمع الطفل من محيطه كثيرا من الكلمات قبل أن ينطق بها ويؤلف بها كلاما، فيتعلم من خلال الاستماع إلى أن يحسن الكلام وتأليفه، ومهارة الاستماع مرتبطة بحياة الإنسان، إذ يكون في مختلف مراحل نموه وحياته مستمعا أكثر مما يكون متكلما. وأن اللغة تبدأ سماعا أولا وقبل كل شيء، وإهمال مهارة الاستماع تقودنا حتما إلى عدم إتقان الكلام وفهمه، ومهارة الاستماع تتطلب استخدام جل الحواس كالبصر والسمع والعقل وتتبع المتكلم وفهم ما يقول .

وتعد مهارة الاستماع من أهم الوسائل المساعدة على الاتصال الناجح ، فلكي يكون الفهم سليما لا بد من الاستماع الجيد، وبحضور جميع الجوارح ، فلا يكفي الاستماع وحده إذا شغلك شاغل عن فهم ما حولك أو تكون في محاولة بائسة للرد أو تغيير مجرى الحديث، فهذا ليس استماعاً على الإطلاق، فالاستماع "عملية إنسانية مقصودة تهدف إلى :الاكتساب ، والفهم ، والتحليل ، والتفسير ، والاشتقاق ، ثم البناء الذهني" (35) ، وقد كشفت العديد من الدراسات أن الوقت الذي يقضيه الناس في الاستماع إلى بعضهم البعض يقدر بـ 45% من مجموع كلامهم.

فتغيب مهارة الاستماع يقودنا حتما لسوء الفهم، الذي يؤدي في الغالب إلى تضيق الأوقات والجهود. فإذا كان لكل مهتم بالحديث دون الاستماع فهنا يحدث الخلل.

فالتأثير الذي يحدثه المتكلم مبني على درجة إتقان مهارات الاستماع وفهم ما يحيط بالعملية التواصلية، ويكون الاستماع وجدانيا أي حضور العقل لزوماً، وهذا هو الاستماع المطلوب والمرغوب، إذ يكون الإصغاء تاماً ومفيداً.

فمن خلال مقولة ابن خلدون الذي يرى بأن "السمع أبو الملكات اللسانية"³⁶، فقد نقلت هذه المقولة نقلة مهمة باتجاه الوعي بوسيلة تعلم اللغات واكتسابها، فالتعلم مرتبط بالسمع، وإذا كانت هذه الملكة تكتسب عن طريق الأذن، فإن تغييرها أو فسادها يكون أيضاً عن طريق الأذن أيضاً، فاللحن الذي فشى سابقاً كان سببه السمع، وهذا الذي أدّى إلى نشأة علم النحو، غير أن الملكة أسبق من النحو.

ومما لا يخفى على أحد أن للاستماع دوراً مهماً في تعلم الأشخاص، إذ يجب أن يكون نصيبه في برامج تعليم اللغة نصيباً وافياً يؤدي الهدف المرجو منه. خصوصاً إذا تعلق الأمر بتعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها في مستوياتهم الأولى، وخاصة في المراحل الأولى من الاستماع، بحيث لا يكون للشخص الأجنبي رصيد لغوي أو ثقافي للمادة المرجو تعلمها، فهو لا يستطيع القراءة ولا الكتابة. لذلك كان لزاماً على المعلمين الاعتماد على الصور والرسوم والخرائط وغيرها لكي تكون حافزاً لهم ودعمًا لعملية التعلم، أو الاعتماد على برامج حاسوبية تعالج النطق الصحيح للحروف، كما يمكن الاعتماد على لوحات فنية صامتة أو متحركة تفسر أو تشرح نصاً قرأناه كسورة الفيل مثلاً

،تتضمن اللوحة الفنية صورة لفيل وبيت الله الحرام وبعض الطعام وأمطار... إلخ ، هذه اللوحة الفنية تجعل من المتعلم الأجنبي ينمي مهارته في ربط الصورة بالمعنى.

ولكي تكون عملية تعليم القرءان الكريم للشخص الأجنبي غير الناطق باللغة العربية ناجحة ،يجب أن نقوم بعملية قياس السمع بالاعتماد على أدوات خاصة مجهزة للتأكد من سلامة سمع الشخص الأجنبي المراد تعليمه القرءان الكريم، إذ من خلالها يمكن قياس سمع الأذنين معا ، وذلك عن طريق وسائل وأجهزة ، فهناك طريقتين لقياس سمع هذا الشخص ، الموضوعية والذاتية ، فالأولى عبارة عن أجهزة متطورة منها جهاز الأوديو متر ، وهو أحدث وسائل قياس السمع تقدما واستخداما في المراكز الخاصة لقياس درجة الصوت النقية ، حيث يصدر هذا الجهاز نغمات صوتية متفاوتة على نطاق واسع من حيث ارتفاعها وشدتها وتوتراتها، وبالتالي يحدد شدة الصوت الذي يستطيع الفرد سماعه، حيث يتم توصيل الصوت المراد فحص الفرد عليه بسماعة أذن خاصة (سماعات المخابر) ، وبالتالي يكون إرسال الأصوات عبر التوصيل الهوائي ، أي قناة الأذن ، وهذا في حالة محاولة التأكد من كون الأذن سليمة وغير مصابة بأي ضرر .

ومن الطرائق الموضوعية هناك اختبارات متنوعة تساعد على معرفة وجود عجز سمعي بدرجاته المختلفة عن طريق النداء بالاسم باللغة الأجنبية التي يفهمها ، إضافة إلى الطلب من الفرد الاستجابة للأوامر البسيطة عن طريق الصوت المهموس أو الصوت المجهور بالاعتماد على السمع فقط دون القراءة على الشفاه أو تقديم مجموعة من الصور وطلب تعيين اسم الصورة المذكورة بالسمع فقط، أو استعمال قائمة من كلمات تكون مجهزة ومكيفة حسب

مستوى الفرد الأجنبي المراد اختباره وتعليمه ، آخذين بعين الاعتبار سنه ومستواه اللغوي والثقافي ، كل هذا يقوم به مختص مؤهل في هذا الميدان ، مثل الأخصائي الأرتفوني الذي يستطيع تقديم برنامج مكثف للقيام بالكفالة الأرتفونية ، هذه الأخيرة التي تقوم على مبدأ تصحيح كل ما فقدته الشخص الأجنبي من مكتسبات لغوية وإدراكية ، باعتبار أن الأرتفونيا علم يهتم بالاتصال ، فهو يقوم على أساس تصحيح التعبير اللغوي لهذا الشخص .

وبما أن الإنسان غير الناطق باللغة العربية ، وباعتبار أن اللغة العربية من أعقد اللغات لأسباب عضوية بحتة ، وتميزها عن غيرها ببعض الحروف والمخارج ، فهي تحتوي على حروف تنماز بها عن باقي اللغات العالمية منها المفخمة والمؤخرة (الحلقية Postérieur) كالضاد والقاف والخاء والغين والهاء والعين ، فإنه من الصعب عليه نطق تلك الحروف بسهولة ، إذ أثبتت الدراسات اللسانية الحديثة على أن هناك مشكلات تواجه متعلمي اللغات -و خاصة الأجنبية منها - وتتمثل في كيفية انتقال المتعلم من المحيط الصوتي بلغته الأصلية، الناتج من خصائص هذه اللغة الصوتية سواء كان ذلك في صفات أصواتها أو مخارجها، أو في الطابع الخاص بنبرتها و تنغيمها، وهذا ما يستدعي الاستعانة بالتأهيل الأرتفوني ، وذلك قصد مساعدة الشخص الناطق بغير اللغة العربية النطق السليم والأمثل للحروف الخاصة بهذه اللغة، وتعويد المتعلم الأجنبي العادات النطقية الصحيحة ، باعتبار أن عملية النطق تستدعي توظيف أعضاء خاصة وبطريقة سليمة وهي الحنك اللين ، الحنك الصلب ، اللسان ، الأسنان ، عضلات النطق ، الفكين السفلي والعلوي ، الشفاه الخياشيم والأنف ، فهي أعضاء تعد من أهم الأجزاء الرئيسة في إخراج الكلام ، ومن ثم فإن أي خلل وظيفي أو عدم القدرة الجيدة والسليمة في

توظيف تلك الأعضاء فإنه يؤدي إلى خروج الأصوات مشوهة ، مما يُفقد الكلام وضوحه ، فما بالك بالقرءان الكريم الذي يستوجب النطق السليم لآيه ، إذ يحتوي على أحكام مضبوطة غير قابلة للتغيير أو الحذف أو التعويض ، وبالتالي يجب أن يكون التأهيل مكثفا لبلوغ الغاية المرجوة وهي تمكين الشخص الأجنبي من النطق بالحروف نطقا سليما ، وذلك باستعمال تقنيات خاصة تعتمد على لمس المناطق الخاصة بالنطق كغرغرة المياه ، بطاقات خاصة ، اهتزازات ، الإحساس بالهواء ، وكل هذا يُمكن الشخص الأجنبي من التفريق بين الحروف المهموسة والمجهورة ، الانفجارية والتسريبية وذلك بالاعتماد على مقاطع غير مفهومة توظف فيها الصامتات والمصوتات التي تسمى باللوقاتوم (Logatome)، وهي مقاطع (Syllabe) ليس لها معنى لتسهيل عملية النطق ، ووضع حرف معين في وضعيات مختلفة (البداية وسط وآخر المقاطع) ، أو وضع رسوم توضيحية متحركة للجهاز النطقي الصوتي، متزامنة مع نُطق الحَرْف (الصوت) عندما يكون منفردًا، وعند اتصاله بحروف أخرى في مقاطع صوتية صعبة الأداء.

ومن خلال عملية تدريب المتعلم غير الناطق باللغة العربية على النطق الصحيح للحروف العربية كون اللغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة ، فإن نطقه سيصبح آليا تدريجيا عن طريق الدربة ، هذا التدرج يساعد في نمو وتطور عملية السماع ،وتصبح عنده ملكة ، هذه الملكة " كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه"⁽¹⁾ ، خاصة إذا اعتمد فيها على المرئيات التي توضح عملية النطق الصحيح لهذه الحروف المراد تعلمها ، إضافة إلى التزام المنصت بالسمع واستيعاب المعلومات التي يلقيها المعلم للمتعلم قصد ترسيخها.

ولعل أسهل طريقة يمكننا استعمالها في التأهيل الأُطوفوني هو الاعتماد على الكتابة الصوتية العالمية، هذه الأخيرة تعرف على أنها رموز مضبوطة متفق عليها عالميا ، بهدف تسهيل فهم اللغة المنطوقة ، فهي تقوم على قوانين ثابتة ، و تتسم بالموضوعية ، وذلك لأنه عند كتابة مدونة صوتية يجب أن تكون الرموز الموضوعية مطابقة تماما للكلام المنطوق والمسموع ، فلا يُسمح للمختص بتغيير أو حذف أو إضافة ، فالكتابة الصوتية عبارة عن حروف وضعت مقابل الحروف العربية ، مثل الحرف ك — كـ ، وش — شـ.

ض - d ، و ث — هـ ، لتسهيل قراءتها من طرف أي شخص في العالم مهما كانت لغته ، لهذا وجدنا أنها وسيلة جيدة لتعلم لغة القرآن الكريم ، لهذا ارتأينا اقتراح سورة الفاتحة عن طريق كتابتها بالكتابة الصوتية العالمية ، بهدف التشجيع على تحفيظ وقراءة القرآن الكريم ، كما لا يفوتنا ذكر تدخل قدرات الشخص الإدراكية وعنصر الإرادة لتسهيل عملية التعليم .

ومن أهم ما يسهل هذه العملية امتلاك الشخص الأجنبي مهارة الاستماع ، فعلى هذا الشخص غير الناطق باللغة العربية والمحب لتعلم القرآن ولغته ، يجب أن تكون له القدرة على الإنصات الجيد والتمييز في النغمات والإيقاع الخاص بالحروف العربية والكلمات، فمثلا حرفا الضاد والذال يظهر لنا بأنهما متشابهان في طريقة النطق، لكن عند الإنصات الجيد لمخارجهما يظهر تمايزهما والاختلاف الحاصل بين نطقهما ، فالمخرج واحد وحركة اللسان والوضعية واحدة والصفة واحدة (إنفجاري) إلا أنهما مختلفان فحرف الضاد مثلا مفخم على عكس الذال فهو حرف مستفل، و لا تفخم العرب الذال، وتكون مرققة مهما كانت حركاتها سواء مفتوحة أو مضمومة أو

مكسورة أو ساكنة، كذلك هو حرف منفتح لأنها ليست من حروف الإطباق الأربعة.

كذلك بالنسبة لحرفي الطاء والتاء ، فهنا يتطلب التعلم مهارة الاستماع التي تسهل عملية النطق والحفظ السليمين .

بالإضافة إلى الكتابة الصوتية العالمية ، يمكن اقتراح الاعتماد على برنامج خاص يساعد على معالجة كيفية إخراج الحروف العربية صوتاً وصورة ، لتسهيل عملية النطق السليم ، وذلك عن طريق الاستعانة بجهاز حاسوب يكون مقابلاً للشخص الأجنبي المراد تعليمه لغة القراءان الكريم ، اعتماداً على برامج حاسوبية خاصة لتعليم أصوات اللغة العربية لغير الناطقين بها ، ويُحتمل فيه مخطط أو رسم توضيحي لحركة وعمل أعضاء النطق أثناء الكلام والوضعيات المختلفة للسان أثناء القيام بنطق بعض الحروف كـ القاف والتاء وحركة الشفتين أثناء النطق بحرف الباء والفاء ، وإظهار الاختلاف في حركات أعضاء النطق أثناء إخراج الحروف العربية والتمييز بين الأعضاء الساكنة والمتحركة أثناء ذلك، هذا البرنامج يمكن المتعلم الأجنبي من الاستماع الجيد للقراءان الكريم بتوظيف هذه المهارة ، وتعويده النطق الصحيح والسليم للأصوات العربية ، من خلال ربط الصوت بصورة أو لوحة تمثل آية من آي القراءان الكريم .

ومما يجب التنبيه إليه أن من مميزات اللغة العربية أنها لغة موسيقية بامتياز، إذ يمكن لأي شخص أن يُكرّر كلماتها حتى لو لم يكن ناطقاً أو متحدثاً بها عن طريق التدريب الجيد، فالأذن الموسيقية تميل إلى الطرب واللحن والتغني، فبالاعتماد على تكرار المفردة القراءانية على أذان الشخص الأجنبي، فإن الأذن تستطرب لسماعها لما تحتويه المفردة القراءانية من نبر وتنغيم وإيقاع

، فالشخص الأجنبي يمكنه تكرار جزء من المفردة حتى يستطيع إتقانها كلية بشكل بسيط، ومع زيادة تكرار لفظ نفس المفردة سينطق الجملة العربية بشكل جيد عن طريق الدربة والإنصات الجيد، فيحفظها ويكون قادراً على تكرارها وتخزينها.

ويقاس نجاح هذه العملية التعليمية لتعليم غير الناطقين بالعربية للغة القراءان الكريم تمكنهم من استعمال اللغة العربية على جميع مستوياتها وفي وضعيات اتصالية مختلفة .

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن عملية التعلم مرتبطة بمهارة الاستماع ، وهذا الأخير يساعد على إجراء عمليات الفهم والتقييم للآخرين ، وإن الشخص الأجنبي المراد تعليمه بحاجة إلى تعلم هذه المهارة وهذا يستلزم معلماً واعياً وعلى درجة عالية من الإعداد والمعرفة الجيدة بحال المتعلمين ، إضافة إلى ضرورة وجود منهج منظم لتعليم هذه المهارة وهذه مهمة مراكز البحث والمعاهد في إعداد المعلمين الموجهين لهذه العملية.

خاتمة :

مما سبق يتجلى لنا الهدف من عملية تعليم لغة القراءان ، فهي لا تسعى لتحقيق أهداف أو إنجازات شخصية ، وإنما تسعى أيضاً إلى تحقيق

أهداف مشتركة للمجتمع وتلبية احتياجاته المتمثلة في التواصل والاطلاع على ثقافة الغير، ومن هنا وجب أن ندرك أن تعليمنا اللغة العربية وتعلمنا إياها ليس فقط ما ذكر سابقا، وإنما هو محاولة منا التعريف بالرسالة المحمدية التي جاء بها القرآن الكريم ألا وهي التعارف بين البشر ⁽³⁷⁾ **بِرَبِّهِمْ بَيْنَ بَنِي تَرْتَزِمَ تَنْتِي تَرْتَزِمَ تَنْتِي تَرْتَزِمَ تَنْتِي**

هذا النداء القرآن يخبّرنا ونحن نعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها بأننا نريد أن نحقق مهمة كبيرة والتي من أجلها خلق الناس وهي التعارف، فقد ركزت الآية على البعد اللغوي وهو التواصل "لتعارفوا" فمن خلاله نستنبط فوائد كثيرة أهمها التفاهم وتبادل المعلومات والخبرات بين القبائل والشعوب

ولعل أبلغ ما قيل في تعلم لغة القرآن ما ورد على لسان الثعالبي إذ يقول: "مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَبَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ أَحَبَّ الرَّسُولَ الْعَرَبِيَّ أَحَبَّ الْعَرَبَ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ أَحَبَّ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي نَزَلَ بِهَا أَفْضَلُ الْكُتُبِ عَلَى أَفْضَلِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبِيَّةَ عُنِيَ بِهَا وَثَابَرَ عَلَيْهَا، وَصَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَيْهَا"⁽³⁸⁾.

الهوامش:

- 1- أسواق في الجاهلية كانت تقام بها مناظرات بين الشعراء.
- 2 - أخرجه أبو عبيد بن سلام في فضائل القرآن ، باب فضل تعلم القرآن -دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان- ط1، 1411هـ - 1991م، ص:21.

³ - المصدر نفسه ، باب إعراب القرآن و ما يستحب للقارئ من ذلك و ما يؤمر به ، ص:209.

⁴ - ابن جني ، الخصائص ، تح: محمد علي النجار ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، (د.ط.ت) ج 2 ، ص:8.

⁵ - محمد بن عمر بن سالم باز مول ، القراءات القرآنية و أثرها في التفسير و الأحكام- دار الهجرة،الرياض، المملكة العربية السعودية - ط1، 1417هـ-1996م، ج1، ص:246 بتصرف يسير.

⁶ - ابن المنظور ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، ط3، 2004م، ج12 ، ص:50.

⁷ - سورة القيامة، الآية 17

⁸ - ينظر: ابن منظور، المصدر نفسه ، ج12، ص:50، والسيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، ط1، 1423هـ-2003م، ج1 ، ص:72. و الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1425هـ-2004م، ج1 ، ص:195.

⁹ - نافع المدني و ابن كثير وابن عامر و أبو عمرو بن العلاء ، و عاصم الكوفي و حمزة الزيات والكسائي.

¹⁰ - ينظر: ابن منظور، المصدر السابق ، ج 1 ، ص:73 ، والزركشي ، المصدر السابق ، ج1، ص:195.

¹¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 12 ، ص :50 ، والزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص:195.

¹² - ينظر: الزركشي، السابق ، ج1، ص:195، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ج1، ص:73.

¹³ - سورة القيامة، الآية 17

¹⁴ - ينظر: الزركشي ، المصدر السابق، ج1، ص:195 ، والسيوطي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص:73.

¹⁵ - ينظر : السيوطي ، المصدر نفسه ، ج1، ص73، وابن منظور ، لسان العرب، مادة قرأ ، ج12، ص:50.

15 - مناع قطان،مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة - بيروت- ط3 ، 1421هـ- 2000م، ص: 20 .

¹⁶ - ينظر: السيوطي ، المصدر السابق ، ج1، ص: 73.

¹⁷ - هذا التعريف اجتهاد منا، و هو مستفاد من تعاريف بعض العلماء

الأجلاء، ينظر مثلاً: مناع قطان، مباحث في علوم القرآن ص: 21، و محمد باز

مول ، القراءات القرآنية و أثرها في التفسير و الأحكام، ج1، ص: 26.

¹⁸ - سورة الإسراء، الآية 55

¹⁹ - ابن الجزري ، منجد المقرئين ، تح : عبد الحليم قابة ، دار البلاغ ، الجزائر ،

ط1، 1424هـ - 2003م ، ص: 41.

²⁰ - سورة الحجر، الآية 9

²¹ - ينظر: السيوطي ، إلتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 86.

²² - السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة ، شرح و تصحيح محمد جاد

المولى و آخرون ، دار الجليل ، بيروت ج2، ص: 8.

²³ - ابن جني ، الخصائص ، تح محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت لبنان ،

ج1، ص: 33

²⁴ - عاطف مذكور، علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة للنشر

والتوزيع، مصر، 1986 ، ص: 83.

²⁵ - المقدمة عبد الرحمان ابن خلدون ، تحقيق عبد السلام الشداوي ، خزنة

ابن خلدون بين الفنون والعلوم و الأدب الطبعة الأولى ، الدار البيضاء

ج3، ص:237.

²⁶ - تقي الدين ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم، مكتبة الرشد، الرياض،

ج 1، ص:469.

²⁷ - سورة الروم، الآية 22

²⁸ . موسوعة علم النفس الحديث، محمد عبد الرحمن العيسوي، دار الراتب

الجامعية، لبنان المجلد9 ط1، 2002، ص:277

²⁹ - سورة الأعراف، الآية 204

³⁰ - المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق ودار المشرق ط 28، بيروت، ص: 63

³¹ - المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ج 3 ، ص:1129.

³² - القاموس الجديد ، علي بن هادية وآخرون، الشركة التونسية للتوزيع

والمؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب ص:485

³³ - المنجد في اللغة والأعلام، ص: 351

³⁴ - فاضل فتحي محمد والي، تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية طرقه ،

أساليبه ، قضاياه ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ط 1 ، 1998 ، ص: 143 –

144

³⁵ - رشدي أحمد طعيمة و محمد السيد مناع ، تدريس العربية في التعليم العام

نظريات وتجارب، دار الفكر العربي ط 1421 – 2001 ، ص: 80 بتصرف يسير

³⁶ - عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة، ج 3 ، ص: 1129.

³⁷ - سورة الحجرات ، الآية 13

³⁸ - فقه اللغة، أبو منصور الثعالبي، ت. جمال طلبة، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، ص: 25.